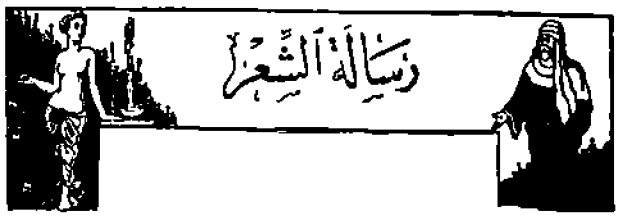

ثلاث عشرة حجة

للأستاذ الكبير عباس محمود العقاد

مرّت بنا الأيامُ وَثْبَا سِلْماً كما شاءت وحَرْبا
لا أحسنَتْ حَرباً ، ولا في السِّلم ، طاب السلمُ غِبّا
ضَمِنَتْ لجيشَيْها معـــا غَصْبا كما اشتهيا ، وغَلْبا
فإذا الحوادثُ أقبلت أو أدبرت ، فالخَلْقُ نَهْبَى
ألعامُ من أعوامنا يحوى ـ جزاه الله ـ حُقْبا
وثلاثَ عَشْرَةَ حِجّـةً قلبتْ طِباقَ الأرض قَلْبا
سَلْها عن الدنيا وما صنعتْ بها شرقاً وغربا
سَلْها عن الوادى وما صنعتْ به دفعاً وجَذْبا
لا ضَيْرَ بالماضى إذا دارَ الزمانُ فطاب عُقْبَى

* * *

فألاً من الذكرى ، وكم فألٍ طوَى في الغيب حُجْبا
وهـــدايةً منها وقد تَهديك في الظلماء قُطْبا

* * *

يا سَعدُ يومك ، فاستجب قلباً لمن يدعوك قلبا
جـــرّد عزيمتك التى أغنت عن الصَمصام غَرْبا
وابعث نصيحتك التى أغنت عن التِّرياق طِبّا
وانشر فرائدك التى أغنت عن العِقيان كَسْبا
هـــذا نذير الشر هَبّا وإلى حِمَى مصرَ اشرأبّا
وسَرَتْ إلى إفريقيا عَدْوَى الجهالة من أُرُبّا
طمعوا بحَوْزة أمـــةٍ ظنوا لها الغفلاتِ دَأْبا
إن قيل لا خطرٌ غفتْ عيناً ، وتاهت عنه لبّا
أو قيـــل لا طمعٌ فلا طمع ، وقَرّت مصر سِرْبا
أو قيل يا أمم انهضى نهضت وراحت مصر تأبى
تجـــرى المخاوف حولها وتخاله الأمن استتبّا

* * *

يا سـعدُ أنت إمامُها فاهتِف بها مَلأً وشَعبا
صدَعَ الشقاقُ صفوفَها وجمعتَها بالأمس حِزبا
فاجمع جوانبَ رأيها شِعْبًا على الحُسنَى فشِعْبا
قل أنتمـــو أعلى يداً من عابِدِى الإنسان رُهْبَى
ذَلّوا فلمـــا استرسلوا تاهوا بقيد الذل عُجْبا
وإذا أتَوا عددَ الحصى فرمالُكم أوفَى وأرْبى
جَدْبٌ من الصحراء أغـ لى من جَحيم الرَّوض تُرْبا
ظمآنُ يشرب كلّ من يُقرى بكم أكلا وشربا
وقل استعدوا واسلكوا في مفرِق الحدين دَرْبا
لا تُصْغِروا هَوْلاً ولا تستكبروا الأهوال رُعْبا
وتبينوا أين الفـــرى قُ الحرُّ فاتخذوه صَحْبا
دارُ الذين سَبَتْهمُ حريةٌ — هيهات تُسْبَى
ضِنوا بمصر على العدى وعلى الذى يحتال خِبّا
وحَذارِ دعوى معشرٍ لم يؤمنوا بالحـــق رَبّا
لا رحمةً عرفوا ولا عرفوا لغير الشر حُبا
القـــدوةُ العُلْيا لهم وحشٌ على العُدوان شَبّا
عقدوا على البغى العُرَى تَبّتْ يَدُ الباغى ، وتَبّا

* * *

يا آل مصرَ تذكروا سعداً فنى التّذكار قُرْبَى
إني استعرت بيـــانه فعلىّ إن قَصّرْتُ عُتْبَى
إلا اللبابَ ، فإننى في الرأى ما أخطأت لُبّا
سعدٌ إذا أمضى مضى وإذا دعاه الهول لَبّى

عباس محمود العقاد